كتاب موسى المفقود - الجزء الثّاني.

بحث وإعداد: ميرنا جردلي.

تدقيق وإشراف: الأستاذ موّفّق البغداديّ

ما هوَ الكتابُ الذي نبذَهُ فريق من الذينَ أوتوا الكتابَ وراءَ ظهورِهم، وما الذي أخفاه أهل الكتاب من الكتابُ، وما المقصودُ بـ: **"مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ"**، وهل هوَ التوراةُ أو الإنجيلُ كما تعلمنا سابقًا؟

بدا لي الموضوعُ شائكًا ومحيرًا، لكنَّ كلماتِ اللهِ بأنَّهُ جعلَ الكتابَ تبيانًا لكلِّ شيءٍ وبأنَّهُ سبحانَهُ ما فرطَ في الكتابِ من شيءٍ جعلني على يقينٍ بأنني سأصلُ إلى غايتي، فبدأتُ تدبُّرَ كتابِ اللهِ من البدايةِ، الختمةَ بعدَ الختمةِ، والبحثَ عن كلماتٍ، تلاها مفرداتٌ ومفرداتٌ، ومعَ الجهدِ المستمرِّ بدأتِ الأمورُ تتوضحُ وبدأتِ الحواجزُ تتهاوى أمامي الواحدةُ تلوَ الأخرى حتى أصبحتِ الأمورُ بفضلِ اللهِ واضحةً جليّةً ووجدتُ اللهَ يفتحُ عليَّ في تدبُّراتي وأصبحتِ الأمورُ تأخذُ منحًى مترابطًا قويًّا وواضحًا، والآياتُ تترامى على مسمعي وذهني كأنني أسمعُها وأقرأُها للمرةِ الأولى.

وقبلَ عرضِ هذا البحثِ أودُّ أن أذكِّرَ بالقاعدةِ التي علَّمنا إياها القرءانُ بأنَّهُ لا تطابقَ في معاني كلماتِ القرءانِ، بمعنى أنَّ ما نظنُّ أنَّ معناهُ متطابقٌ في الكلماتِ مختلفةِ البناءِ، هوَ في الحقيقةِ مختلفٌ في القصدِ والدلالةِ، فكتابُ اللهِ محكمٌ، أُحكمتْ آياتُهُ وألفاظُهُ وفُصِّلتْ معانيهُ، فكلُّ لفظٍ من ألفاظِهِ وكلُّ معنى من معاني كلماتِهِ في أعلى درجاتِ الدقةِ والفصاحةِ والإحكامِ والبيانِ.

والتطابقُ بالمعنى أو ما يُسمى الترادفُ كنايةٌ عن كلمتينِ أو أكثرَ تتشابهانِ في المعنى مثلَ القولِ والكلامِ والنطقِ واللفظِ وغيرِها، ولكن لابدَّ وأنَّ هنالكَ اختلافٌ ولو بسيطٌ في الدلالةِ، فأيَّ محاولةٍ لتغييرِ كلمةٍ بأخرى تشبهُها تؤثرُ على معنى الآيةِ، فالخبرُ لا يعني النبأَ، والفقراءُ غيرُ المساكينَ، والقلبُ ليسَ الفؤادَ، وبالتالي فالكتابُ ليسَ التوراةَ أو الإنجيلَ أو القرءانَ.

وهنالكَ آياتٌ كثيرةٌ توضحُ ما أقولُ.

في سورة الرّعد: وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾.

هنا لا بدَّ وأنَّ معنى الخشيةِ لا يمكنُ أن يكونَ الخوفَ أبدًا.

ومن هنا نبدأ،

الكتابُ:

الكتابُ منَ الجذرِ "كتبَ"، وكلُّ ما هوَ مكتوبٌ يُعتبرُ كتابًا، فلو كانَ عبارةً عن رسالةٍ تحوي سطرًا واحدًا فقد كانَ العربُ يسمونَهُ كتابًا، ففي **سورةِ النّمل: ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾.** ويجبُ أن نلاحظَ أنَّ الكتابَ المعرَّفَ بألفِ لامِ التعريفِ لا يمكنُ أن يعني تمامًا أيَّ كتابٍ آخرَ كما ذكرنا سابقًا، فلا يمكنُ أن يكونَ الكتابُ هوَ القرءانُ أو التوراةُ أو الإنجيلُ أو مجرد أي كتاب بحسبِ المفهومِ اللسانيِّ.

سورة ءال عمران: قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾.

إذن فهذهِ أربعةُ أشياءٍ مختلفةٍ علَّمَها اللهُ لعيسى عليهِ السلامُ وأعيدُها على مسامعِكم: **الكتابُ**، الحكمةُ، التوراةُ والإنجيلُ، ونعودُ ونسألُ نفسَ السؤالِ: ما هوَ هذا الكتابُ؟

في سورة البقرة: كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾.

وفي سورة الأنعام: وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾.

وفي سورة الحديد: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾.

في سورة غافر: إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾.

سورة غافر: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾.

وهكذا أصبحَ جليًّا لنا أنَّ جميعَ الأنبياءِ والرسلِ آتاهمُ اللهُ كتابًا معينًا لا علاقةَ لهُ بأيِّ تسمياتٍ أو مفرداتٍ أخرى كنا نظنُّها تحملُ نفسَ المعنى، ونلاحظُ أنَّ الكتابَ معرَّفٌ أيْ كتابٌ معروفٌ بيَّنَهُ اللهُ لجميعِ الناسِ من عهدِ نوحٍ إلى يومِ القيامةِ كما جاءَ **في سورةِ البقرة: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾.**

وفي سورة فصّلت: مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾.

سورة النّساء: يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾.

فلا بدَّ هنا وأن يكونَ هنالكَ شيءٌ مشابهٌ في طرحِ القرءانِ مع الطرحِ الموجودِ في كتبِ الأقوامِ السابقةِ، ولكن أعودُ وأُذكِّرُ أنَّهُ لا يمكنُ أن يكونَ المقصودُ بهِ التوراةَ أو الإنجيلَ، بل هنالكَ كتابٌ مخصصٌ قائمٌ بذاتِهِ سمَّاهُ اللهُ **الكتابَ** كما لاحظنا وكما وردَ في السورِ أعلاهَ.

المحزن والعجيب أنني كلَّ ما كنتُ أعودُ للتفاسيرِ أجدُ أنَّ معنى الكتابِ إما أن يكونَ التوراةَ أو الإنجيلَ أو القرءانَ، ولكن ما سبقَ من الآياتِ خلقَ عندي يقينًا أنَّهُ لا يمكنُ أن يكونَ كذلكَ أبدًا.

وأخيرًا أصبحَ ذلكَ بديهيًّا بالنسبةِ لي، فالربُّ واحدٌ ودينُهُ واحدٌ وكتابُهُ واحدٌ، ولا بدَّ أن يحتويَ على أحكامٍ وأوامرَ ونواهيَ واحدةٍ لجميعِ البشرِ، ولا بدَّ أن يكونَ بيانًا لعظمتِهِ تعالى ولعظمةِ خلقِهِ ويشملُ وعدَهُ ووعيدَهُ، وهذا ما سيتوضحُ لنا لاحقًا.

ولكنَّ الموضوعَ لم يكتملْ بعدُ، فهنالكَ الكثيرُ من المواضيعِ الواجبِ ربطُها لنصلَ لمفهومٍ كاملٍ.

ونعودُ للآياتِ التاليةِ التي تؤكدُ ما ذهبتُ إليهِ آنفًا بأنَّ دينَ اللهِ واحدٌ.

سورة الرّوم: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾.

سورة الزّمر: قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾.

سورة غافر: هُوَ ٱلۡحَیُّ لَاۤ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِینَ لَهُ ٱلدِّینَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِینَ ﴿٦٥﴾.

سورة الشّورى: شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّینِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾.

نعودُ إلى نقطةِ البدايةِ، إلى سورةِ البقرة ونبدأُ من أولِ خطابٍ من اللهِ إلى بني إسرائيل: **یَـٰبَنِیۤ إِسۡرَ ٰۤءِیلَ ٱذۡكُرُوا۟ نِعۡمَتِیَ ٱلَّتِیۤ أَنۡعَمۡتُ عَلَیۡكُمۡ وَأَوۡفُوا۟ بِعَهۡدِیۤ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِیَّـٰیَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَاۤ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوۤا۟ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ وَلَا تَشۡتَرُوا۟ بِـَٔایَـٰتِی ثَمَنًا قَلِیلًا وَإِیَّـٰیَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُوا۟ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُوا۟ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِیمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّ ٰكِعِینَ ﴿٤٣﴾ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾.**

في هذهِ الآياتِ البيناتِ يأمرُ اللهُ بني إسرائيلَ بأن يؤمنوا بالكتابِ الذي أنزلَهُ على محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وبأنَّ هذا الكتابَ المنزلَ منَ اللهِ، مصدِّقًا لما معهم منَ الكتابِ، ويأمرُهم بنفسِ الوقتِ بما نحنُ مأمورونَ بهِ من صلاةُ وزكاةُ.

والآيةُ تبينُ أنَّ الحقَّ الذي أمرهم اللهُ بأن لا يكتموهُ وهم يعلمونَهُ هو كتابُ محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، وهذا واضحٌ منَ السياقِ. هذا الكتابُ وصفَهُ اللهُ بأنَّهُ يهدي إلى الحقِّ وإلى الطريقِ المستقيمِ، فكيفَ عرفوا أنَّهُ الحقُّ إذا لم ينزِّلِ اللهُ عليهم كتابًا مطابقًا أو شبهَ مطابقٍ لكتابِهم؟

سورة سبأ: وَیَرَى ٱلَّذِینَ أُوتُوا۟ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِیۤ أُنزِلَ إِلَیۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَیَهۡدِیۤ إِلَىٰ صِرَ ٰطِ ٱلۡعَزِیزِ ٱلۡحَمِیدِ ﴿٦﴾.

وهنا تأكيدٌ منَ اللهِ عزَّ وجلَّ أنَّ الذينَ أوتوا العلمَ أيضًا علموا أنَّهُ الحقُّ، وعندَ البحثِ عن "الذينَ أوتوا العلمَ" أو "الراسخونَ في العلمِ" وما إلى ذلكَ من مفرداتٍ مشابهةٍ، وجدتُ أنَّها دائمًا تتكلمُ عن العلمِ في الدينِ.

هذا الكتابُ أنزلَهُ اللهُ على محمدٍ عليهِ الصلاةُ والسلامُ، ومن قبلِهِ كتابُ موسى عليه السلام كما جاءَ في سورةِ الأنعام: **وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾.**

وعندَ التعمقِ بالبحثِ عن **"مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ"**، وجدتُ أنَّهُ لا يمكنُ أن يكونَ المقصودُ إلا الكتابَ الذي نتحدثُ عنهُ الآنَ.

سورة المائدة: وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾.

ومنَ المؤكدِ أنَّ المقصودَ هنا ليسَ التوراةَ أو الإنجيلَ، فكما بيَّنا سابقًا بأنَّهُ لا تطابقَ في مفرداتِ القرءانِ، ولتأكيدِ ذلكَ أكررُ في **سورةِ ءال عمران: وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾.**

وفي سورة ءال عمران: نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾.

نلاحظ أن الكتاب المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام مصدقا لما بين يديه من شيء كان موجود في عهد، ثمّ تابع **"وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ"**، إذا هو مصدق لشيء آخر مختلف عن التوراة والإنجيل والذي هو الكتاب المعرّف والذي أنزل على موسى عليه السلام وهو محور بحثنا هذا.

وفي الآيةِ التاليةِ يأمرُ اللهُ بني إسرائيلَ من بعدِ ميثاقٍ أن يأخذوا كتابًا خاصًّا، وهذا الكتابُ لا بدَّ وأن يكونَ ذا قيمةٍ حتى يأمرَهم بأخذِهِ بقوةٍ، والدليلُ على هذا نجدهُ في أمرِهِ تعالى "اذكروا ما فيهِ"، مما يدلُّ على أنَّهُ شيءٌ مكتوبٌ.

سورة البقرة: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾.

وبمقارنة هذه الآية **بسورة مريم: يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾.**

نستدلُّ أنَّ الذي أمرَ اللهُ يحيى عليهِ السلامُ وبني إسرائيلَ بأخذِهِ هو نفسُ الكتابِ أصلِ موضوعِنا هذا.

ولربطِ الكتابِ بالميثاقِ يقولُ تعالى **في سورةِ البقرة: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾.**

نلاحظُ أنَّ ما أُمر بهِ بنو إسرائيلَ هو نفسُ ما أمرنا اللهُ بهِ تمامًا مع وجودِ بعضِ التغيراتِ، ولكنَّ بنو إسرائيلَ وكما نعلمُ كانوا كالعادةِ كثيري الجدلِ والضلالِ والتعنتِ والاستكبارِ، وكانوا دائمًا ما ينقضونَ الميثاقَ والعهدَ معَ اللهِ، وهذا واضحٌ من خلالِ قصصِهم مع أنبيائِهم.

سورة البقرة: وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾.

سورة البقرة: أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾.

سورة البقرة: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾.

والواضحُ هنا أنَّ اللهَ أعطى بني إسرائيلَ كتابًا مشابهًا للكتابِ المنزلِ من قبلِهم على الأقوامِ السابقةِ وأنبيائِهم، ومع ذلكَ فالكثيرُ من بني إسرائيلَ لم يؤمنوا بكلِّ ما جاءَهم في هذا الكتابِ والكثير منهم لم يؤمنوا به كله.

سورة البقرة: ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾.

سورة الجاثيّة: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾.

بل وفعل بعضهم أكثرَ من ذلكَ، فهم حرفوا ما فيهِ، لا بل وأخفوا بعضَهُ أو نبذوهُ كلَّهُ وراءَ ظهورِهم.

سورة البقرة: أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾.

سورة البقرة: فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾.

سورة الأنعام: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُون ﴿٩١﴾.

وهنا نلاحظُ تكرارَ ربطِ الكتابِ معَ موسى عليهِ السلامِ دونَ غيرِهِ منَ الأنبياءِ، وقد لاحظنا هذا في آياتٍ عدةٍ.

سورة المائدة: فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾.

ومعَ كلِّ هذهِ الآياتِ التي تبينُ حقيقةَ بني إسرائيلَ وتكشفُ نواياهم الخبيثةَ، بيدَ أنَّهم برروا ذلكَ بأنَّ قلوبَهم غُلِفَت زورًا وبهتانًا على اللهِ، بمعنى أنَّهُ تمَّ تغليفُها رغمًا عنهم، وذلكَ الافتراءُ يكشفُهُ اللهُ تعالى في سورةِ البقرة حيثُ أنَّ قلوبَهم غُلِفَت بسببِ رفضِهم المستمرِّ لأوامر الله عزّ وجلّ رغمَ الرسالاتِ والتحذيراتِ المستمرةِ لهم منَ اللهِ: **وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾.**

ووضحَ اللهُ سببَ هذهِ اللعنةِ وأنَّها كانت بسببِ أفعالِهم، **ففي سورةِ النّساء: فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾**

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾.